من عجائب
مــاء زمــــزم

بكر محمد إبراهيم

الناشر
مركز الراية للنشر والأعلام

اسم الكتاب : من عجائب ماء زمزم

بقلــم بكر محمد إبراهيم

الطبعة : الأولى ٢٠٠٤

الناشر : مركز الراية للنشر والأعلام

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٤١٠٢

I. S. B. N.
977 - 354 - 033 - 2

مقدمة

الحمد لله الكبير المتعال خلق الخلق وأحصاهم عدداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً أرسل الرسل وأنزل الكتب وهو القائل سبحانه وتعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ والصلاة والسلام على عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه الذى أرسله ربه ليكون للعالمين نذيراً .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا وزير ولا مشير أحمده حمداً لشاكرين وأكبره تكبيراً .

وبعد ...

فهذا كتاب عن عجائب ماء زمزم يتضمن ذكر قصة زمزم ونبع مائها تحت قدمى نبى الله ورسوله إسماعيل عليه السلام وسعى السيدة هاجر بحثا عن طعام أو ماء وفضائل ماء زمزم وعجائبه وغرائبه وأنه طعام طعم وشفاء سقم .

وقصة عبد الطلب فى إعادة حفر زمزم بعد أن طويت فرأى فى المنام رؤية لثلاث ليال متتاليات دلتة على مكان زمزم على وجه الدقة واليقين واستمرار وجود هذه البئر وبركتها حتى الآن وتضلع الجم الغفير منها وما فيها من بركة وشبع وشفاء وآيات بينات .

نسأل الله تعالى أن يعم بها النفع ، والله من وراء القصد .

والحمد له أولاً وآخراً .

المؤلف

بكر محمد إبراهيم

قصة ظهور زمزم

روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

«أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل - وهى ترضعه- حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقا، فتبعته أم إسماعيل فقالت :

يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه إنس ولا شىء، فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له :

آلله أمرك بهذا ؟

قال: نعم.

قالت : إذن لا يُضيعنا.

ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) ﴾ [إبراهيم].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال : يتلبط- فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها،

فقامت عليه، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف ذراعها، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : «فذلك سعى الناس بينهما».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت : صه، – تُريد نفسها– ثم تسمعت أيضاً فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه– أو قال بجناحه– حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف.

قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : «رحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم – أو قال : لو لم تغرف من الماء – لكانت زمزم عينا معينا».

قال : فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرهم– أو أهل بيت من جرهم– مقبلين من طريق كَداء، فنزلوا فى أسفل مكة، فرأوا طائرًا عائفا[1] ، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء، فأرسلوا جريًا أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا – قال : وأم إسماعيل عند الماء – فقالوا:

أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟

فقالت : نعم، ولكن لا حق لكم فى الماء.

(١) يحوم ويلازم المكان .

قالوا : نعم.

قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : «فألفى ذلك أم إسماعيل وهى تحب الأنس، فنزلوا، وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم»، الحديث.

اندثار بئر زمزم

يقول المهندس يحيى كوشك فى كتابه «زمزم» : كانت جرهم تشرب من ماء زمزم فمكثت بذلك ما شاء الله أن تمكث إلى أن نضب معين زمزم واختفت معالمها ولم يبق لها أثر يعرف. وقد اختلف أهل العلم فى السبب وراء نضوب ماء زمزم واختفاء البئر.. فيعزو البعض ذلك لأسباب جغرافية، حيث تحدث ياقوت الحموى عن مصير زمزم فقال: وتطاولت الأيام على ذلك حتى غورت تلك السيول، عفتها الأمطار، فلم يبق لزمزم أثر يعرف.

أما المؤرخون فينسبون اختفاء زمزم لأسباب تاريخية، وذكر بعض أهل العلم أنه لما استخفت جرهم بالحرم وتهاونت بحرمة البيت، وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها سراً وعلانية، وارتكبوا مع ذلك أموراً عظاماً، نضب ماء زمزم، وانقطع، فلم يزل موضعه يدرس ويتقادم وتمر عليه السيول عصراً بعد عصر حتى غاب مكانه.

وقد كان عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمى قد وعظ جرهماً فى ارتكابهم الظلم فى الحرم، واستخفافهم بأمر البيت، وخَوَّفَهم النِقم، وقال لهم : إن مكة بلد لا تقر ظالماً، فالله الله قبل أن يأتيكم من يخرجكم منها خروج ذل وصغار، فتتمنوا أن تُتْركوا تطوفون البيت فلا تقدروا على ذلك.

فلما لم يزدجروا ولم يعوا وعظه، عمد إلى غزالين كانا فى الكعبة من ذهب وأسياف قلعية كانت أيضاً فى الكعبة، فحفر لذلك كله بليل فى موضع زمزم

سراً منهم حين خافهم عليه، فسلط الله عليهم خزاعة فأخرجتهم من الحرم ووليت عليهم الكعبة والحكم بمكة ما شاء الله أن تليه، وموضع زمزم فى ذلك لا يعرف لتقادم الزمن.

ويذكر بعض المؤرخين أن سيداً من سادات مكة وهو مضاض بن عمرو الجرهمى كان قد اشتبك فى حرب مع أعدائه انتهت بهزيمته، وأدرك أن أعداءه لن يلبثوا أن يخرجوه من مكة، ورأى مضاض أن يحرمهم من مورد المياه الرئيسى فى مكة، فأخفى فى بئر زمزم بعض نفائسه وذهبه، ثم ردمها وأخفى علاماتها، وتكاثرت الرمال عليها حتى اندثرت، ثم هرب مضاض إلى اليمن.

إنشاء آبار صغيرة

واضطر أهل مكة إلى البحث عن موارد جديدة للمياه، فحفروا آبار أخرى معظمها خارج مكة، إذ أن المياه الجوفية هى المصدر الوحيد للمياه، فقد حرمت مكة من الأمطار الغزيرة المنتظمة، كما حُرمت من الأنهار الجديدة الجارية والمياه المتدفقة.

وكان قُصى بن كلاب جد عبد المطلب الأكبر يسقى الحُجاج فى حياض من أدم[1] وكان ينقل الماء من آبار خارج مكة، منها بئر ميمون الحضرى، ثم احتفر قصى «العجول» فى دار أم هانى بنت أبى طالب، وهو أول سقاية احتفرت بمكة ... وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا فقالوا :

نروى على العجول ثم ننطلق　　　إن قصياً قد وفى وقد صدق

ولم تزل العجول قائمة طوال حياة قصى وبعد موته، حتى كبر عبد مناف بن قصى، فسقط فيها رجل من بنى جعيل، فعطلوا العجول واندفنت واحتفرت

---

(١) جلد.

كل قبيلة بئراً.. فاحتفر بنو تميم بن مرة «الجفر» وهى بئر مرة بنت كعب، وحفر عبد شمس ابن عبد مناف بئراً أخرى وسماها «الطوى» وحفر هاشم أيضاً بئر «سجلة» وظلت ملكا لبنى هاشم حتى أعاد عبد المطلب حفر بئر زمزم، فمنح هذه البئر إلى بنى نوفل بن عبد مناف، وحفر أمية بن عبد شمس بئر «الحفر» واحتكر الاستفادة من مائها لنفسه.. وحفرت بنو سهم بئر «الغمر».. كما كانت هناك عدة آبار فى خارج مكة يرجع تاريخها إلى عهود زعماء قريش الأوائل منذة مرة بن كعب وكلاب بن مرة أشهرها بئر «رم» وقد حفرها مرة بن كعب بن لؤى، وبئر «ضم» وقد حفرها كلاب بن مرة.

تجديد حفر زمزم على يد
عبد المطلب جد الرسول ﷺ

قال الإمام الزهرى رحمه الله :

إن أول ما ذكر عن عبد المطلب جد رسول الله ﷺ أن قريشا خرجت من الحرم فارة من أصحاب الفيل، وهو غلام شاب، فقال : والله، لا أخرج من حرم الله أبتغى العز فى غيره، فجلس عند البيت، وأجلت عنه قريش، فقال :

اللهم إن المرء يمنع   رحله فامنـع رحـالـك

لا يغلبـــن صليبهـم   ومحالهم غدوا محالك

فلم يزل ثابتاً، حتى أهلك الله تبارك وتعالى الفيل، وأصحابه، فرجعت قريش، وقد عظم فيهم بصبره، وتعظيمه محارم الله.

فبينا هو على ذلك وُلد له أكبر بنيه، فأدرك، وهو الحارث ابن عبد المطلب، فأُتى عبد المطلب فى المنام فقيل له : احفر زمزم، خبيئة الشيخ الأعظم.

قال : فاستيقظ ، فقال : اللهم بين لى .

فأرى فى المنام مرة أخرى : احفر زمزم، تكتم بين الفرث والدم، فى مبحث الغراب، فى قرية النمل، مستقبلة الأنصاب الحُمر.

قال: فقام عبد المطلب فمشى، حتى جلس فى المسجد الحرام ينظر ما خبىء له من الآيات، فنحرت بقرة بالحزورة، فأفلتت من جازرها بحشاشة نفسها، حتى غلبها الموت فى المسجد، فى موضع زمزم، فجزرت تلك البقرة فى مكانها، حتى احتمل لحمها، فأقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرث، فبحث فى قربة النمل، فقام عبد المطلب يحفر هنالك، فجاءته قريش، فقالوا لعبد المطلب : ما هذا الصنيع؟ لم نكن نزنك بالجهل، لم تحفر فى مسجدنا؟

فقال عبد المطلب: إنى لحافر هذه البئر، ومجاهد من صدنى عنها، فطفق يحفر هو وابنه الحارث، وليس له يومئذ ولد غيره، فيسعى عليهما ناس من قريش، فينازعونهما، ويقاتلونهما، وينهى عنه الناس من قريش، لما يعلمون من عتق نسبه، وصدقه، واجتهاده فى دينه يومئذ.

حتى إذا أمكن الحفر، واشتد عليه الأذى، نذر إن وفى له بعشرة من الولد ان ينحر أحدهم، ثم حفر حتى أدرك سيوفا دُفنت فى زمزم، فلما رأت قريش أنه قد أدرك السيوف، فقالوا لعبد المطلب : أحذنا[1] مما وجدت.

فقال عبد المطلب : بل هذه السيوف لبيت الله، ثم حفر حتى أنبط الماء، فحفرها فى القرار، ثم بحرها حتى لا تُنزف، ثم بنى عليها حوضا، وطفق هو وابنه ينزعان، فيملآن من ذلك الحوض، فيشرب منه الحجاج، فيكسره ناس من حسدة قريش بالليل، ويصلحه عبد المطلب حين يصبح.

فلما أكثروا إفساده، دعا عبد المطلب ربه، فأرى فى المنام ، فقيل له: قل : اللهم إنى لا أحلها لمغتسل، ولكن هى لشارب حل، وبل ، ثم كفيتهم، فقام عبد

(١) أعطنا

المطلب حين أجفلت قريش بالمسجد فنادى بالذى أرى، ثم انصرف، فلم يكن يفسد عليه أحد من قريش إلا رمى بداء فى جسده، حتى تركوا له حوضه ذلك، وسقايته.

يقول على بن أبى طالب – رضى الله عنه – قال عبد المطلب : «إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آت، فقال لى : أحفر طيبة، قلت : وما طيبة ؟ فذهب عنى، فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعى، فنمت فيه بجاءنى فقال : أحفرة برة.

قال : قلت وما برة ؟

قال : ثم ذهب عنى، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى، فنمت فجاءنى ،

فقال : احفر المضنونة.

قال: قلت : وما المضنونة ؟

قال: ثم ذهب عنى، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال : احفر زمزم.

فقلت : وما زمزم ؟ قال : لا تنزف، ولا تذم، تسقى الحجيج الأعظم وهى بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل.

قال: فلما بين لى شأنها، ودل على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث، ليس له يومئذ غيره، فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطمى كبر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه، فقالوا:

يا عبد المطلب ، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقا، فأشركنا معك فيها.

قال : ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم.

قالوا: فأنصفنا، فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها.

قال: فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم، أحاكمكم إليه ؟

قالوا: كاهنة بنى سعد بن هزيم.

قال: نعم، وكانت بأشراف الشام.

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أمية، وركب من كل ركب من قريش نفر، والأرض إذ ذاك مفاوز[1]، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض المفاوز بين الحجاز والشام، فنى ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا ممن معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم، وقالوا:

إنا فى مفازة نخشى فيها على أنفسنا مثل ما أصابكم.

فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم، وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون ؟

قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك، فمرنا بما شئت.

قال: فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه لما بكم الآن من القوة، كلما مات رجل دفنه أصحابه فى حفرته، ثم واروه حتى يكون آخركم رجلاً، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً.

قالوا: سمعنا ما أردت، فقام كل رجل منهم يحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لعجز ما نبتغى لأنفسنا حيلة، عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارحلوا فارتحلوا حتى فرغوا ومن معهم من قريش ينظرون إليهم وما هم فاعلون، فقام عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب، فكبر عبد المطلب، وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب

---

(١) صحارى.

وشربوا، واستقوا حتى ملؤوا أسيقيتهم، ثم دعا القبائل التى معه من قريش، فقال: هلموا إلى الماء قد سقانا الله تعالى، فاشربوا واستقوا، فقالت القبائل التى نازعته: والله ، قد قضى الله لك يا عبد المطلب علينا، والله، لا نخاصمك فى زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه، ولم يمضوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبين زمزم.

حرص الرسول ﷺ

على الشرب من ماء زمزم

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال :

«سقيت رسول الله ﷺ من زمزم، فشرب وهو قائم» وفى لفظ آخر«إن النبى ﷺ شرب دلوا من ماء زمزم قائما».

قال ابن خزيمة: أراد شرب من الدلو، لا أنه شرب الدلو كله، وهذا من الجنس الذى يذكر فيه اسم الشىء، ويراد به بعض أجزائه.

كقوله تعالى : ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ [الإسراء ١١٠].

فأوقع اسم الصلاة على القراءة خاصة.

وقد استنبط ابن بطال وغيره من هذا الحديث : أن البخارى –رحمه الله– أراد أن الشرب من ماء زمزم من سنن الحج.

أفاض رسول الله ﷺ إلى البيت يوم النحر، فأتى بنى عبد المطلب، وهم يسقون على زمزم فقال : «انزعوا بنى عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم».

فناولوه دلوا فشرب منه.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما -

أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية، فاستسقى، فقال العباس: يا فضل، اذهب إلى أمك، فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها.

فقال رسول الله ﷺ «اسقنى».

فقال العباس : يا رسول الله، إنهم يجعلون أيديهم فيه!!

فقال رسول الله ﷺ «اسقنى».

فشرب منه، ثم أتى زمزم، وهم يسقون ويعملون فيها، فقال: «اعملوا فإنكم على عمل صالح».

ثم قال : « لولا أن تغلبوا لنزعت حتى أضع الحبل على هذه» يعنى عاتقه، وأشار إلى عاتقه.

بوب الإمام ابن خزيمة -رحمه الله- لهذا الحديث بعنوان : باب استحباب الاستقاء من ماء زمزم، إذ النبى ﷺ قد أعلم أنه عمل صالح، وأعلم أن لولا أن يغلب المستقى منها على الاستقاء لنزع معهم.

من ولى السقاية

كان عبد مناف يحمل الماء فى القرب إلى مكة، ويسكبها فى حياض من أدم بفناء الكعبة للحجاج، ثم فعله ابنه هاشم بعده، ثم عبد المطلب، فلما حفر زمزم كان يشترى الزبيب فينبذه فى ماء زمزم، ويسقى الناس.

ثم ولى السقاية من بعد عبد المطلب ولده العباس- وهو يومئذ من أحدث إخوته سنا- فلم تزل بيده حتى قام الإسلام، وهى بيده، فأقرها رسول الله ﷺ فهى اليوم إلى بنى العباس

وقد روى الطبرانى والفاكهى من حديث السائب المخزومى أنه كان يقول : اشربوا من سقاية العباس، فإنه من السنة.

أما قوله «فاستسقى» أى. طلب الشرب.

والفضل هو ابن العباس أخو عبد الله، وأمه هى أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، وهى والدة عبد الله أيضاً

وقوله «إنهم يجعلون أيديهم فيه» أراد أن يعظم النبى ﷺ بعدم الشرب مما قد يكون تدنس من أيدى الناس، وهذا من حبه للنبى ﷺ .

وفى رواية للطبرانى : «إن العباس قال له · إن هذا قد مرث، أفلا أسقيك من بيوتنا؟ قال لا، ولكن اسقنى مما يشرب منه الناس» وهذا من كمال تواضعه ﷺ

أما قوله ﷺ «لولا أن تغلبوا ... الخ».

قال الداودى رحمه الله فى شرحه . أى إنكم لا تتركونى أستقى، ولا أحب أن أفعل بكم ما تكرهون فتغلبوا

وقال غيره معناه لولا أن تقع لكم الغلبة بأن يجب عليكم ذلك بسبب فعلى

وقيل معناه لولا أن يغلبكم الولاة عليها حرصاً على حيازة هذه المكرمة

قال ابن حجر : والذى يظهر أن معناه لولا أن تغلبكم الناس على هذا العمل إذا رأونى قد عملته لرغبتهم فى الاقتداء بى فيغلبوكم بالمكاثرة لفعلت .

وقال ابن بزيزة . أراد بقوله «لولا أن تغلبوا» قصر السقاية عليهم، وأن لا يشاركوا فيها، واستدل به على أن الذى أرصد للمصالح العامة لا يحرم على

النبى ﷺ، ولا على اله تناوله، لأن العباس أرصد سقاية زمزم لذلك، وقد شرب منها النبى ﷺ.

وقال ابن المنير رحمه الله : يحمل الأمر فى مثل هذا على أنها مرصدة للنفع العام فتكون للغنى فى معنى الهدية، وللفقير صدقة.

أما عن فوائد هذا الحديث فهى كثيرة:

١- فيه أنه لا يكره طلب السقى من الغير، ولا رد ما يعرض على المرء من الإكرام إذا عارضته مصلحة أولى منه، لأن رده لما عرض عليه العباس لمصلحة التواضع التى ظهرت من شربه مما يشرب منه الناس.

٢- فيه الترغيب فى سقى الماء، خصوصاً ماء زمزم.

٣- فيه تواضع النبى ﷺ ، وحرص أصحابه على الاقتداء به، وكراهة التقذر والتكره للمأكولات والمشروبات.

٤- وفيه أن الأصل فى الأشياء الطهارة لتناوله ﷺ من الشراب الذى غمست فيه الأيدى.

حثه ﷺ على الشرب
من ماء زمزم

*** لا يتضلع منه منافق :**

عن ابن أبي مليكة قال :

كنت عند ابن عباس، فجاء رجل فجلس إلى جنبه، فقال له ابن عباس :

من أين جئت؟

قال: شربت من ماء زمزم.

قال: شربتها كما ينبغي ؟

قال: وكيف ينبغي يا ابن عباس ؟!

قال: تستقبل القبلة، وتسمي الله، ثم تشرب ... وتتنفس ثلاث مرات(١)، فإذا فرغت حمدت الله تعالى، وتتضلع منها(٢)، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم».

خير ماء على وجه الأرض

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

«خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعم، وشفاء السقم. وشر ماء على وجه الأرض ماء بوادي برهوت، بقية بحضرموت، كرجل الجراد من الهوام، تصبح تتدفق وتمسى لا بلال فيها».

---

(١) يعني خارج الإناء .

(٢) تشرب حتى تمتلئ ضلوعك .

ويقول الأستاذ خليل هراس رحمه الله فى تعليقه على هذا الحديث :

«خير» : أفعل تفضيل بمعنى أخير أى أعظمه بركة، وأكثره نفعاً.

«ماء زمزم» : هى تلك البئر المباركة التى حفرها جبريل عليه السلام بعقبه لإسماعيل وأمه عليهما السلام، حين تركهما خليل الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أزكى الصلاة، وأتم التسليم فى ذلك الوادى القفر الذى لا زرع فيه ولا ماء.

وذلك حين نفد ما معهما من زاد وماء، وجهدت هاجر، وأتعبها البحث ساعية بين الصفا والمروة ناظرة فى الأفق البعيد علها تجد مغيثا يغيثها، فلما أيست من الخلق أغاثها الله عز وجل.

«طعام الطعم» : يعنى يشبع الإنسان من مائها إذا شربه كما يشبع من الطعام إذا أكله، والطعم بضم فسكون : الطعام.

«شفاء سقم» : أى يزيل المرض، ويبرىء العلة، والسقم بضم فسكون، وفتحتين المرض، وكذلك السقام بفتح السين.

«شر ماء على وجه الأرض» : يعنى أقله بركة ، وأجلبه للسقم ، وأبعده عن الرى.

«رجل الجراد» رجل الجراد هو القطعة العظيمة منه، ولا يقال إلا للجراد، وهو جمع لا واحد له من لفظه.

«لا بلال فيها» : البلال يطلق على الماء، وما يبل به الحلق من ماء أو لبن.

وقيل : بلال : بكسر الباء جمع بلل أى : ليس بها قطرة ماء بل ولا أرضها مبتلة. انتهى نقلا عن الترغيب والترهيب (٢/٣٤٦).

وعن ابن جريج قال سمعت أنه يقال :

خير ماء فى الأرض ماء زمزم.

وشر ماء فى الأرض ماء برهوت - شعب من شعاب حضرموت - وخير بقاع الأرض المساجد.

وشر بقاع الأرض الأسواق.

وروى سعيد بن منصور فى سننه عن النبى ﷺ قال :

«خير بئر فى الناس زمزم ..

وخير واديين فى الناس : وادى مكة، وواد فى الهند، الذى فيه آدم عليه السلام، وفيه هذا الطيب».

حرص السلف الصالح على الشرب

من ماء زمزم ومآثره عندهم

رأينا كيف أن الرسول ﷺ كان حريصا على الشرب من ماء زمزم، وعلى أثره سار السلف الصالح، فكانوا يستحبون لمن جاء إلى بلد الله الحرام، ودخل إلى بيته أن لا يغادره إلا بعد الشرب من ماء زمزم.

* يقول ابن أبى شيبة : حدثنا شبر بن المفضل عن عبد الله بن خثيم قال:

«أفضت مع سعيد بن جبير، فأتى حوضا فيه ماء زمزم، فغرف بيده، فشرب منه».

* ويروى ابن شيبة أن وكيعا حدثه عن سفيان عن مجاهد أنه قال :

«كانوا يستحبون إذا ودعوا البيت أن يأتوا زمزم فيشربوا منها».

* وذكر أن محمد بن أبى عدى حدثه عن حميد بن بكر أنه قال :

«أحب للرجل أن يشرب، وأن يسقى من زمزم إن استطاع».

* وعن عليّ رضى الله عنه قال : «خير بئر فى الناس زمزم، وشر بئر فى الناس برهوت».

* ويقول كعب الأحبار رحمه الله : «اسمها رواء، طعام طعم، وشفاء سقم».

* وعن عطاء قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما:

«صلوا فى مصلى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرا».

قيل لابن عباس : ما مصلى الأخيار ؟

قال : تحت الميزاب.

قيل : وما شراب الأبرار؟

قال : ماء زمزم.

* ويقول التابعى الجليل مجاهد رحمه الله :

«هى لما شربت له، تنفع لما شربت له».

- يذكر عن عمرو بن دينار رحمه الله أن ابن عباس - رضى الله عنهما- شرب من زمزم يأخذ دلوا منها، ثم استقبل القبلة فشرب مرة ثانية، حتى تضلع، ثم قال :

«لا يتضلع منها منافق».

فضائل ماء زمزم

ومن فضائل ماء زمزم أن يكون صبوحا لمن يشرب منه، ويعين على الإطعام، وليس هذا لأى ماء سوى ماء زمزم.

يذكر العباس بن عبد المطلب - رضى الله عنه- هذا الأمر، فيقول :

«تنافس الناس فى زمزم فى الجاهلية، حتى إن كان أهل العيال يغدون بعيالهم، فيشربون، فيكون صبوحاً لهم، وقد كنا نعدها عونا على العيال»..

ومن فضائل ماء زمزم أنه يحط به الداء من الجوف، ويشبع من الجوع، ويروى من العطش.

يذكر أن ابن عباس - رضى الله عنهما- قال يوما:

«ما من رجل يشرب من ماء زمزم حتى يتضلع إلا حط الله به داء من جوفه، ومن شربه لعطش روى ، ومن شربه لجوع شبع».

ومن فضائل ماء زمزم : أنه يتحف به الضيفان، ويحمله الركبان.

يروى مجاهد - رحمه الله - أن ابن عباس - رضى الله عنهما- «كان إذا نزل به ضيف أتحفه من ماء زمزم، ولا أطعم قوما طعاماً إلا سقاهم من ماء زمزم».

ومن فضائل ماء زمزم : استحباب توديع البيت بشرب منها.

يقول مجاهد رحمه الله :

«كانوا يستحبون إذا ودعوا البيت أن يأتوا زمزم فيشربوا منها».

غسل قلب النبى ﷺ

بماء زمـــزم

كان أبو ذر رضى الله عنه يحدث أن رسول الله ﷺ قال :

«فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه، ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا».

قوله « فرج عن سقف بيتى» أى فتح.

والحكمة فيه أن الملك انصب إليه من السماء انصبابة واحدة، ولم يعرج على شىء سواه مبالغة فى المناجاة، وتنبيها على أن الطلب وقع على غير ميعاد.

ويحتمل أن يكون السر فى ذلك التمهيد لما وقع من شق صدره، فكأن الملك أراه بانفراج السقف والتئامه فى الحال كيفية ما سيصنع به لطفا به، وتثبيتا له. أفاده ابن حجر فى الفتح (٤٦٠/١).

أما قوله «غسله بماء زمزم» فيه فضيلة ماء زمزم على جميع المياه.

قال ابن أبى جمرة رحمه الله :

وإنما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع فى ماء زمزم من كون أصل مائها من الجنة، ثم استقر فى الأرض فأريد بذلك بقاء بركة النبى ﷺ فى الأرض.

وقال السهيلى رحمه الله :

لما كانت زمزم هزمة جبريل روح القدس لأم إسماعيل جد النبى ﷺ ناسب أن يغسل بمائها عند دخول حضرة القدس ومناجاته.

أما قوله « ثم جاء بطست من ذهب» الطست : بفتح الطاء وبكسرها: إناء معروف، وخص بذلك لأنه آلة الغسل عرفاً.

أما الذهب فلكونه أعلى الأوانى الحسية وأصفاها، ولأن فيه خواص ليست لغيره، منها: أنه من أوانى الجنة.

ومنها : أنه لا تأكله النار، ولا التراب، ولا يصدأ.

ومنها: أنه أثقل الجواهر فناسب ثقل الوحى.

أما قوله: «ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء» إشارة إلى حدوث المعراج.

ومن هذا الحديث يتضح بلا شك أن ماء زمزم له فضل على ما سواه من الماء.

هدى النبى ﷺ

فى الاستشفاء بماء زمزم

- عن عائشة - رضى الله عنها - قالت :

« كان رسول الله ﷺ يحمل ماء زمزم فى الأداوى، والقرب، وكان يصب على المرضى ويسقيهم».

هذا الحديث النبوى الفعلى يوضح بجلاء استحباب حمل ماء زمزم إلى المواطن الخارجة عن مكة، وهى البلاد التى قدم منها الحجاج والمعتمرون.

ويبين لنا هذا الحديث طريقة من طرق التداوى بماء زمزم، وهى :

١- يؤتى بالمريض الذي يرجى له الشفاء بماء زمزم، ومعه آخر يحمل ماء زمزم فى إناء.

٢- يبدأ الحامل لماء زمزم يصبه فوق المريض بنية أن يشفيه الله تعالى من مرضه.

٣- أيسر من ذلك أن يغتسل المريض بماء زمزم بنية الاستشفاء.

٤- بعد ذلك عليه أن يشرب منه، ويكثر من ذلك.

وهنا أذكر أخى المسلم، وأختى المسلمة أن أثر هذا الماء إنما يكون لمن صدق بحديث النبى ﷺ، وجزم بكل قلبه أن الله تعالى جعل ماء زمزم سببا للشفاء.

ولا يفعل المريض ما سبق على سبيل التجربة إن أفلح فيها، وإلا ظن أن هذا الماء الطيب عكس ما كان يظن.

ليس هذا هو حال أهل الإيمان، إنما حالهم اليقين القلبى، والإخلاص النفسى لقبول التداوى بهذا الماء الشافى.

علاج الحمى

عن أبى جمرة الضبعى قال :

كنت أجالس ابن عباس بمكة، فأخذتنى الحمى فقال :

أبردها عنك بماء زمزم، فإن رسول الله ﷺ قال:

«هذه الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء».

أو قال : «بماء زمزم».

فكانت أسماء بنت الصديق رضى الله عنها ترش على بدن المحموم شيئا من ماء زمزم بين يديه وثوبه.

ولنتأمل معا فى علاج النبى ﷺ للحمى.

قوله ﷺ : «الحمى من فيح جهنم» أى المراد سطوع حرها ووهجه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

اختلف فى نسبة الحمى إلي جهنم، فقيل : حقيقة، واللهب الحاصل فى جسم المحموم قطعة من جهنم، وقدر الله ظهورها بأسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك، كما أن أنواع الفرح واللذة من نعيم، الجنة أظهرها فى هذه الدار عبرة ودلالة.

وقيل : بل الخبر ورد مورد التشبيه.

والمعنى : أن حر الحمى شبيه بحر جهنم تنبيها للنفوس على شدة حر النار، وأن هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها، وهو ما يصيب من قرب منها من حرها. قوله ﷺ : «فأبردوها» : يقال بردت الحمى أبردها برداً بوزن قتلتها أقتلها قتلا أى: أسكنت حرارتها.

علاج الصداع و ضعف البصر

يروى الأزرق فى كتابه «تاريخ مكة» عن الضحاك ابن مزاحم رحمه الله أنه كان يقول :

بلغنى أن التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق.

وأن ماءها مذهبٌ للصداع.

وأن الإطلاع فيها يجلو البصر.

وأنه سيأتى عليها زمان تكون أعذب من النيل والفرات.

لم العجب ؟

كم من رجل كان قد أصيب بهذا الداء، داء الصداع، وما أن أتى إلى بئر زمزم، وشرب منها بنية الشفاء فكان الشفاء، نعم إن هذا ليس بعجيب، ولا بغريب لأن ماء زمزم لما شرب له. وكم قصت علينا الصحف أحوالا من هذا القبيل يتعجب منها المرء.

ولكن أليس ماء زمزم طعام طعم، وشفاء سقم، فلم العجب ؟!

ولقد ذكر أحد الأفارقة وهو يقسم برب العالمين أنه كان يعانى من صعوبة شديدة فى فمه منذ سنين، ولما أتى إلى ماء زمزم وشرب منها بنية الشفاء، وهبه الله تعالى الشفاء.

حقا .. إن ماء زمزم ماء مبارك.

صدقا.. إن ماء زمزم لما شرب له.

ولذا فقد قال وهب بن منبه رحمه الله :

«والذى نفس وهب بيده إنها لفى كتاب الله طعام طعم، وشفاء سقم، والذى نفس وهب بيده لا يعمد إليها أحدٌ فيشرب منها حتى يتضلع إلا نزعت داء، وأحدثت له شفاء».

ويذكر لنا الصحابى الجليل ابن عباس رضى الله عنهما هذا الشفاء، وهذه البركة، فيقول :

«شفاء من كل داء».

وأما قوله : «وإنه سيأتى عليها زمان تكون أعذب ممن النيل والفرات» فيقول أبو محمد الخزاعى رحمه الله :

قد رأينا ذلك فى سنة إحدى وثمانين ومائتين، وذلك أنه أصاب مكة أمطاراً كثيرة، فسال واديها بأسيال عظام فى سنة تسع وسبعين، وسنة ثمانين ومائتين، فكثر ماء زمزم وارتفع حتى كان قارب رأسها، فلم يكن بينه وبين شفتها العليا إلا سبعة أذرع أو نحوها، وما رأيتها قط كذلك، ولا سمعت من يذكر أنه رآها كذلك.

وعذبت جداً حتى كان ماؤها أعذب من مياه مكة التى يشربها أهلها.

وكنت أنا وكثير من أهل مكة نختار الشرب منها لعذوبته، وإنا رأيناه أعذب من مياه العيون.

ولم أسمع أحداً من المشايخ يذكر أنه رآها بهذه العذوبة، ثم غلظت بعد ذلك فى سنة ثلاث وثمانين وما بعدها، وكان الماء فى الكثرة على حاله، وكنا نقدر أنها لو كانت فى بطن وادى مكة لسال ماؤها على وجه الأرض، لأن المسجد أرفع من الوادى، وزمزم أرفع من المسجد، وكانت فجاج مكة وشعابها فى هاتين السنتين وبيوتها التى فى هذه المواضع تنفجر ماء.

ماء زمزم

لما شرب له

من حديث جابر، وابن عباس، وابن عمرو، ومعاوية، كلهم مرفوعا ما عدا معاوية، قال رسول الله ﷺ : «ماء زمزم لما شرب له».

لقد أكثر أهل العلم من شرح هذا الحديث، والكلام على معناه.

فقوله ﷺ : «ماء زمزم» قال المناوى رحمه الله :

هو سيد المياه، وأشرفها، وأجلها قدراً، وأحبها إلى النفوس.

أما عن قوله ﷺ : «لما شرب له» فقال : لأنه سقيا الله وغياثه لولد خليله، فبقى غياثاً لمن بعده، فمن شربه بإخلاص، وجد ذلك الغوث، وقد شربه جمع من العلماء لمطالب فنالوها .

ويذكر صاحب «العقد الثمين» أن أحمد بن عبد الله الشريفى الفراش بالحرم المكى شرب ماء زمزم للشفاء من العمى، فشفى، على ما أخبرنى به شيخنا المفتى عبد الرحمن بن أبى الخير الفاسى.

وقد شربه جماعة من السلف والخلف لمقاصد جليلة فنالوها .

وقال الإمام النووى رحمه الله معلقا على هذا الحديث :

معناه أن من شربه لحاجة نالها، وقد جربه العلماء والصالحون، لحاجات أخروية ودنيوية، فنالوها بحمد الله تعالى وفضله.

وقال المسعودى : «ماء زمزم» سميت به لأن الفرس كانت تحج إليها فى الزمن الأول فزمزمت عليه، والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء.

ونقل البرقى عن ابن عباس - رضى الله عنهما- أنها سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالاً، ولو تركت ساخ على الأرض حتى ملأ كل شيء.

فضل زمزم على ما سواها

قال ابن إسحاق صاحب المغازى رحمه الله :

إن مكة كان فيها أبيار كثيرة قبل ظهور زمزم فى زمن عبد المطلب، فعفت زمزم على الآبار كلها، وانصرف الناس كلهم إليها لمكانها من المسجد الحرام، ولفضلها على ما سواه من المياه.

ولعل خير من شرح معنى الحديث هو التابعى الجليل مجاهد بقوله :

«ماء زمزم إن شربته تستشفى به شفاك الله».

«ماء زمزم إن شربته ليشبعك أشبعك الله به».

«ماء زمزم إن شربته لقطع ظمئك قطعه الله».

ويقول ابن القيم رحمه الله :

وقد جربت أنا وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض، فبرأت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد، قريبا من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعًا، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرنى أنه ربما بقى عليه أربعين يوماً، وكان له قوة يجامع بها أهله، ويصوم، ويطوف مراراً .

فيا أخى المسلم، إذا شربت من ماء زمزم استقبل القبلة، واذكر اسم الله، وتنفس ثلاثاً، وتضلع منها، فإذا فرغت فاحمد الله، وقل بقلب صادق، ونفس موقنة:

اللهم إنى أسألك علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً، ودعاء مستجاباً .

اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم.

وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم.

ويقول الشوكانى تعليقا على هذا الحديث النبوى :

فيه دليل على أن ماء زمزم ينفع الشارب لأى أمر شربه، لأجله، سواء كان من أمور الدنيا أو الآخرة، لأن «ما» فى قوله «لما شرب له» من صيغ العموم.

ويرد الشوكانى على شبهة واهية يتعلق بها ضعاف الإيمان فيقول رحمه الله :

بقى أنه قد يستشكل أصل الخبر بأن أهل مكة لم يزالوا محتاجين إلى الطعام، ولا يشبعهم ماء زمزم، وتوجد فيهم الأمراض الكثيرة، ويحتاجون إلى العلاج، ويستمر ببعضهم مرضه، وقد كان ذلك فى عهد النبى ﷺ وبعده ؟!!

ويجاب بأن ذلك خاص - والله أعلم - بالمضطر المخلص فى اعتقاده، وتوجهه إلى ربه تبارك وتعالى.

من شرب ماء زمزم اتقاء عطش يوم القيامة :

أخى المسلم .. أختى المسلمة ...

بركة ماء زمزم

فمن شربه طالبا الرى فى يوم العطش الأكبر، فى يوم القيامة، كان له بفضل الله ومنه الوصول إلى مراده.

يقول القاسم بن محمد بن عباد: سمعت سويد بن سعيد يقول :

رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم، فاستقى شربة، ثم استقبل القبلة، فقال : اللهم إن ابن أبى الموال حدثنا عن محمد ابن المنكدر عن جابر عن

النبى ﷺ أنه قال :

« ماء زمزم لما شرب له».

وهذا أشربه لعطش القيامة، ثم شربه .

من شرب ماء زمزم بنية الشفاء

لقد أوضحنا بما لا شك فيه فيما مضى كيف أن ماء زمزم دواء، وشفاء ولكن يستلزم منا الوصول إلى الشفاء استحضار نية الشفاء، والثقة فى كلام النبى ﷺ .

ولقد كان بعض الصحب الأبرار يشربون ماء زمزم بنية الشفاء.

أخرج الفاكهى من رواية ابن إسحاق قال : حدثنى يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال :

لما حج معاوية فحججنا معه، فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين، ثم مر بزمزم ، وهو خارج إلى الصفا، فقال :

انزل لى منها دلواً ياغلام. قال : فنزع له منها دلوا، فأتى به فشرب، وصب على وجهه ورأسه، وهو يقول :

« زمزم شفاء، وهى لما شرب له».

من شرب زمزم طلبا للعلم

أخى المسلم .. أختى المسلمة ...

كم من عالم قد نال العلم، ووفق للحفظ بعد شربه لماء زمزم بنية العلم !

كم من فقيه شرح الله صدره بشربه ماء زمزم بنية التفقه فى دين الله ؟!

وليس هذا بغريب، ولا بعجيب، فإنه ماء مبارك، وهو لما شرب له.

- يذكر الحاكم أن أبا بكر محمد بن جعفر أخبره عن ابن خزيمة فقال :

سمعت ابن خزيمة، وسئل : من أين أتيت العلم؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : «ماء زمزم لما شرب له».

وإني لما شربت، سألت الله علما نافعا.

فيا طالبا للعلم النافع هلم واشرب من ماء زمزم، واسأل الله تعالى أن يمن عليك بالعلم النافع.

ويا طالبة العلم النافع هلمى واشربى من ماء زمزم، واسألى الله عز وجل أن يرزقك العلم النافع.

من شرب زمزم

طلبا للفهم والحفظ

قد يستغرب المرء منا للوهلة الأولى، فيتساءل :

ما العلاقة بين ماء زمزم وسرعة الحفظ ؟!

وما الصلة بين الفهم الفطن وماء زمزم ؟!

أقول إن العلاقة واضحة بينة، لمن رفع الغفلة عن قلبه، والحجب عن فؤاده.

إن ماء زمزم لما شرب له، مع الأخذ فى الاعتبار التمسك بالأسباب ما كان إلى ذلك سبيل.

يحكى الجلال السيوطى عن نفسه قائلا :

«سافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز، واليمن، والهند، والمغرب، والتكرور، ولما حجت شربت من ماء زمزم لأمور:

منها: أن أصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقينى.

وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر.

أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى علىّ، لا فخراً، وأى شىء فى الدنيا حتى يطلب تحصيله بالفخر، وقد أزف الرحيل، وبدا الشيب، وذهب أطيب العمر».

من شرب ماء زمزم

طلبا لحديث رسول الله ﷺ

أخى المسلم ... أختى المسلمة ...

من النيات التى ينبغى لكل شارب من ماء زمزم أن يتذكرها نية سماع حديث الرسول ﷺ ، وحفظه، وفهمه.

يروى لنا الحميدى - شيخ البخارى - هذا الأثر الطيب :

كنا عند ابن عيينة، فحدثنا بحديث : «ماء زمزم لما شرب له»، فقام رجل من المجلس، ثم عاد فقال : يا أبا محمد ، أليس الحديث الذى قد حدثتنا فى زمزم صحيحا؟

فقال : بلى.

فقال الرجل : فإنى شربت الآن دلواً من زمزم على أن تحدثنى بمائة حديث!!

فقال ابن عيينة رحمه الله : اقعد، فقعد، فحدثه بمائة حديث.

ماء زمزم طعام طعم

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

كنا نسميها شُبَاعة - يعنى زمزم- وكنا نجدها نعم العون على العيال.

و«شباعة» : أى أن ماء زمزم يروى ويشبع من يشربه، كما يرويه الماء، ويشبعه الطعام.. فكأن ماء زمزم قد جمع بين خاصيتى الإرواء والإشباع ولذا لجأ إليه أصحاب العيال ممن لا يستطيعون توفير الطعام لأولادهم.

وتلك خاصية من خواص ماء زمزم وبركة من بركاته التى لا تنتهى.

وهذه واقعة شخصية عاشها الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى - رضى الله عنه- يقول أبو ذر، وهو يروى قصة إسلامه ولقائه برسول الله ﷺ :

« ... فأتيت زمزم فغسلت عنى الدماء ، وشربت من مائها، ولقد لبثت- يا ابن أخى - ثلاثين، بين ليلة ويوم، ما كان لى طعام إلا ماء زمزم . فسمنت حتى تكسرت عُكن بطنى، وما وجدت على كبدى سُخفة جوع .. الحديث.

وسأله الرسول ﷺ :

«متى كنت ههنا؟».

قال : قلت : قد كنت ههنا منذ ثلاثين، بين ليلة ويوم.

قال: «فمن كان يطعمك؟».

قال : قلت : ما كان لى طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عُكن[١] بطنى، وما أجد على كبدى سخفة[٢] جوع.

قال : «إنها مباركة . إنها طعام طُعم».

ومعنى «إنها طعام طُعم» أى أنها تشبع شاربها كما يشبعه الطعام.

لقد أقام الله سبحانه هذا الماء مقام الغذاء .. وإلا كيف كانت تعيش هاجر وولدها فى هذا الوادى الذى وصفه الله بقوله : ﴿ غير ذى زرع ﴾ .

---

(١) الطى فى البطن .

(٢) رقة الجوع وهزاله .

– أليس هذا سراً من أسرار الله أودعه فى هذا الماء ؟

لقد عنى الباحثون والعلماء بدراسة هذا الماء والوقوف على مكوناته، وحاولوا تخليق ماء يضاهى ماء زمزم بكل مواصفاته.. ولكن عبثا حاولوا!!

حتى اعترفوا بعجزهم وقالوا: لا زمزم إلا ما خرج من زمزم !!

ما هذا الإعجاز؟!

وما هذا الإبداع ؟!

أليس ماء زمزم آية من آيات الله فى الكون ؟!!

هؤلاء وتجاربهم الشخصية

مع ماء زمزم

يقول رسول الله ﷺ :

«ماء زمزم لما شرب له :؟

إن شربته تستشفى به شفاك الله.

وإن شربته لشبعك أشبعك الله به.

وإن شربته لقطع ظمئك قطعه.

وهى هزمة جبريل، وسُقيا الله إسماعيل».

ولا يؤخذ هذا القول على إطلاقه، ولكن بشروط ..

يقول ابن العربى : وهذا موجود فيه إلى يوم القيامة، لمن صحت نيته، وسلمت طويته، ولم يكن به مكذبا، ولا يشربه مجربا.. فإن الله مع المتوكلين، وهو يفضح المجربين.. اهـ.

مع الحكيم الترمذى رحمه الله :

يقول الحكيم الترمذى : الشارب لماء زمزم :

إن شربه لشبع أشبعه الله.

وإن شربه لرى أرواه الله.

وإن شربه لشفاء شفاه الله.

وإن شربه لسوء خلق حسنه الله.

وإن شربه لضيق صدر شرحه الله.

وإن شربه لانفلاق ظلمات الصدر فلقها الله.

وإن شربه لغنى النفس أغناه الله.

وإن شربه لحاجة قضاها الله.

وإن شربه لأمر نابه كفاه الله.

وإن شربه للكربة كشفها الله.

وإن شربه لنصرة نصره الله.

وبأية نية شربه من أبواب الخير والصلاح، وفى الله له بذلك، لأنه استغاث بما أظهره الله تعالى من جنته غياثا.

كل ذلك يتوقف على قوة إيمان الشارب، وقوة نفسه، واستعداده، وقوة توكله على ربه، وثبات قلبه .. فإن ماء زمزم سلاح، والسلاح بضاربه!.

ويقول الحكيم الترمذى أيضا : حدثنى أبى قال :

دخلت الطواف فى ليلة ظلماء، فأتى من البول ما شغلنى،، فجعلت أعتصر

باب زمزم، فأتى البئر، فنزع بالدلو فشرب، فأخذت فضلته فشربتها، فإذا سكر مضروب بعسل لم أذق قط أطيب منه فأخذت ملحقة فلففتها على يدى، وقلت له:

يا شيخ ، بحق هذه البنية عليك، من أنت ؟

قال : تكتم عليَّ؟

قلت : نعم.

وقال : حتى أموت؟

قلت : نعم .

قال : أنا سفيان بن سعيد الثورى.

مع الإمام ابن قيم الجوزية

يقول الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله :

ماء زمزم سيد المياه وأشرفها، وأجلها قدراً، وأحبها إلي النفوس، وأغلاها ثمناً، وأنفسها عند الناس، وهو هزمة جبريل وسقيا الله إسماعيلَ.

وقد جربت أنا وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض، فبرأت بإذن الله .. وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف شهر، أو أكثر، ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرنى أنه ربما بقى عليه أربعين يوماً، وكان له قوة يجامع بها أهله، ويصوم ويطوف مرارا .

ويقول أيضاً – رحمه الله : ولقد مر بى وقت بمكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها- أى بفاتحة الكتاب –، آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مراراً، ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع.. اهـ.

مع حبر الأمة، عبد الله بن عباس

- رضى الله عنهما-

كان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول :

صلوا فى مصلى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار.

قيل له : وما مصلى الأخيار ؟

قال : تحت الميزاب.

قيل له : وما شراب الأبرار؟

قال : ماء زمزم.

وعن ابن مليكة قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال له : من أين جئت؟

قال : شربت من ماء زمزم.

قال ابن عباس : أشربت منها كما ينبغى؟

قال : وكيف ذاك يا ابن عباس ؟

قال : إذا شربت منها فاستقبل القبلة، واذكر الله، وتنفس ثلاثاً، وتضلع منها، فإذا فرغت فاحمد الله.

وكان رضى الله عنه إذا شرب من ماء زمزم قال :

«اللهم إنى أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء».

ووالله لقد عُرف ابن عباس فى العلم بأنه « ترجمان القرآن».. ولقب بالبحر لكثرة علمه.

وكان صاحب رزق واسع، ولم يأته المرض إلا فى الكبر.. وما تلك إلا من بركات زمزم.

مع الإمام جلال الدين السيوطى

يقول الإمام عن نفسه فى كتابه القيم : «حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة»:

سافرت – بحمد الله – إلى بلاد الشام، والحجاز، واليمن، والهند، والمغرب، والتكرور، ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور، منها:

أن أصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقينى.

وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر.

وذلك لإيمانه بصدق قول رسول الله ﷺ : «ماء زمزم لما شرب له».

فهل تحقق للشيخ ما أراد ؟

لقد مَنَّ الله عليه بما أراد وزيادة.

يقول الإمام رحمه الله :

أفتيت فى مستهل سنة إحدى وسبعين وعقدت إملاء الحديث سنة اثنتين وسبعين.

ورُزقت التبحر فى سبعة علوم:

التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعانى، والبيان، والبديع على طريقة العرب البلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة.

والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة، سوى الفقه والنقول التى اطلعت عليها، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخى، فضلا عمن دونهم.

أما الفقه، فلا أقول ذلك فيه، بل شيخى فيه أوسع نظرا، وأطول باعاً..

ودون هذه السبعة فى المعرفة :

أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونها الإنشاء والترسل والفرائض، ودونها القراءات، ولم آخذها عن شيخ، ودونها الطب.

وقد كملت عندى الآن آلات الاجتهاد بحمد الله، أقول ذلك تحدثا بنعمة الله على، لا فخراً، وأى شىء فى الدنيا حتى يطلب تحصيله بالفخر؟! وقد أزف الرحيل، وبدا الشيب، وذهب أطيب العمر، ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها العقلية والقياسية، ومداركها ونقوضها وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها، لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولى ولا بقوتى، فلا حول ولا قوة إلا بالله .. اهـ.

قال : حدثنا هشام بن عمار، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال : قال عبد الله بن المؤمل، إنه سمع أبا الزبير يقول، سمعت جابر بن عبد الله يقول ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ماء زمزم له شرب له».

وفي هذا الإسناد علتان :

إحداها: ضعف عبد الله بن المؤمل، ضعفه النسائي والدارقطني، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: ليس بقوي. وقال أحمد : ليس بذلك. وقال مرة : أحاديثه منكرة. وقال علي بن الحسين بن الجنيد : يشبه المتروك. واختلف فيه قول ابن معين، فقال مرة : ضعيف، وقال مرة: لا بأس به، له مناكير. وقال مرة : صالح الحديث. وقال ابن عدي: الضعف على أحاديثه بين. وقال ابن سعد: ثقة. وكذا نقل ابن نمير. وقال العقيلي : لا يتابع على أكثر حديثه. ونقل المزي عن ابن حبان أنه ذكره في الثقات الأثبات على أنه آخر، وإلا فقد ذكره في الضعفاء، فقال : لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد. وقال في الثقات : عبد الله بن المؤمل عن عطاء. وعنه منصور بن سقير، وليس هذا أيضا بصاحب أبي الزبير المكي الذي روى عنه ابن المبارك، ذاك ضعيف. انتهى.

ولم يصيب ابن حبان في جعله اثنين، بل هو واحد مكي، روى عن عطاء، وعن أبي الزبير، وعن ابن أبي مليكة، وغيرهم. روى عنه من أهل الحجاز: الشافعي وابن جريج – وهو من أقرانه – ومعن بن عيسى. ومن أهل الشام : الوليد بن مسلم. ومن أهل الكوفة : زيد بن الحباب والعقدي وفهد بن عبد الرحمن وأبو نعيم. ومن أهل خراسان : عبد الله بن المبارك والحسين بن الوليد، وآخرون غير من ذكرنا، فهو مشهور ولم يتهم بالكذب.

قال ابن عبد البر: هو سيء الحفظ، ماعلمنا فيه شيئاً يسقط . انتهى.

فهو من هذه الحيثية ممن يعتبر حديثه، وإذا جاء الحديث الذي يرويه من

غير طريقه اعتضد بروايته، وصار حسناً على رأى الترمذى ومن تابعه.

العلة الثانية : رواية الوليد بن مسلم عنه بغير تصريح بالتحديث، والوليد يدلس ويسوى، فلا يقبل من حديثه إلا ماصرح فيه بالتحديث له ولشيخه، ولكن هذه العلة منتفية، فإن الحديث معروف عن عبد الله بن المؤمل من غير رواية الوليد، أخرجه الإمام أحمد فى مسنده قال : حدثنا عبد الله بن الوليد، حدثنا عبد الله بن المؤمل، عن أبي الزبير، عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ماء زمزم لما شرب منه».

ووقع اللفظان معاً عند الفاكهى فى أخبار مكة فقال : حدثنا محمد بن سليمان، ثنا زيد بن الحباب. ح قال: وحدثنا ابن أبى بزة، ثنا محمد بن حبيب مولي الزيادان. جميعا عن عبد الله بن المؤمل، عن أبى الزبير، عن جابر رضى الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ :«ماء زمزم لما شرب له» . قال ابن أبى بزة فى روايته: «أو منه».

ورواه عمر بن شبة في كتاب مكة، من طريق المعافى بن عمران، ومن طريق أبى أحمد الزبيرى. كلاهما عن عبد الله بن المؤمل.

وذكره ابن عدى فى الكامل. في ترجمة عبد الله بن المؤمل، وذكر أن معن بن عيسى رواه عنه وساقه بسنده.

وكذا أخرجه الحكيم الترمذى من طريق معن.

وأشار ابن عدى إلى أن عبد الله بن المؤمل لم ينفرد به، وأنه رواه عبد الرحمن بن المغير، عن حمزة الزيات، عن أبي الزبير، عن جابر، انتهى.

وطريق حمزة هذه رويناه فى الأوسط للطبرانى وأخطأ فيه راويه، إنما هو عن عبد الله بن المؤمل فهو المتفرد به.

ووجدت له طريقا أخرى عند البيهقى فى السنن الكبرى أخرجها من طريق إبراهيم بن طهمان عن أبى الزبير. وقيل : إن راويها سقط عليه عبد الله بن المؤمل أيضا. ومن ثم قال البيهقى : إن ابن المؤمل تفرد به. وقد جرت عادة كثير من الحفاظ إطلاق التفرد، مع أن مرادهم فيه تفرد الثقة، وسأذكر بقية الكلام على حديث جابر رضى الله عنه، عند الجواب عن السؤال عن رتبة هذا الحديث في الصحة والضعف، إن شاء الله تعالى.

حديث ابن عباس :

وأما حديث ابن عباس رضى الله عنه فرواه الدارقطنى فى السنن.

قال: حدثنا عمر بن الحسن بن على، ثنا محمد بن هشام بن على، ثنا محمد بن حبيب الجارودى، ثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبى نجيح، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «ماء زمزم لما شربه، إن شربته لتستشفى به شفاك الله، وإن شربته ليشبعك أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، هى هزمة جبريل، وسقيا الله إسماعيل».

وقد ذكر الذهبى فى الميزان هذا الحديث، فى ترجمة عمر بن الحسن شيخ الدارقطنى فى هذا الحديث، فقال : عمر بن الحسن الأشنانى القاضى أبو الحسن، ضعفه الدارقطنى، وجاء عنه أنه كذبه، وله بلايا من ذلك، قال الدارقطنى ... فساق هذا الحديث.

قال الذهبى : فلقد أثم الدارقطنى بسكوته عنه، فإنه بهذا الإسناد باطل، ما رواه ابن عيينة قط، بل المعروف حديث جابر من رواية عبد الله بن المؤمل.

قلت : بل أخشى أن يكون الذى أثم في هذا الكلام الذهبى، فإنه تكلم فيه فلم يُصيب، والدارقطنى أجل من أن يقال فى حقه هذا الكلام، فإن عمر بن الحسن لم ينفرد به حتى يلزم الدارقطنى أن يشرح حاله، وقد سلم الذهبى ثقة

من بين عمر بن الحسن وبين ابن عيينة، فلهذا انحصر القدح عنده فى عمر، وليس آفة هذا الحديث من عمر على ما سنبينه.

فقد رواه الحاكم فى المستدرك قال : حدثنا على بن حماد المعدل ثنا محمد بن هشام به. وقال : هذا حديث صحيح الإسناد إن سلم من الجارودى. انتهى.

فهذا كلام من عرف حال هؤلاء الرجال، فإن على بن حماد من الأثبات، ووالده بفتح الحاء المهملة، وسكون الميم بعدها شين معجمة، وشيخه محمد بن هشام ثقة عنده، وإن كان ابن القطان وتبعه المنذرى قالا: إنه لا يعرف. فقد عرفه الحاكم ومع ذلك فقد شذ فى تصريحه برفع هذا الحديث وبوصله.

وأما الجارودى فقد ذكره الخطيب فى تاريخه وقال : إنه صدوق.

قلت : وهو كما قال، إلا أنه انفرد عن ابن عيينة بوصل هذا الحديث، ومثله إذا انفرد لا يحتج به، فكيف إذا خالف ؟!، فقد رواه الحميدى وابن أبى عمر وغيرهما من الحفاظ عن ابن عيينة، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد. وهو وإن كان مثله لا يقال بالرأى، فيكون فى تقدير مالو قال مجاهد قال رسول الله ﷺ ، فيكون مرسلا.

وقد رواه سعيد بن منصور فى السنن عن سفيان بن عيينة كذلك.

والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن عبد الجبار بن العلاء، عن سفيان كذلك.

وكذا رواه عبد الرزاق فى مصنفه، والفاكهى أيضاً من طريق عبد الرزاق عن سفيان كذلك.

وكذا رواه الأزرق فى كتاب مكة، عن جده، عن ابن عيينة كذلك.

هذا هو المعتمد، ولا عبرة بمن يقول الحكم للواصل، لأن ذلك ليس عند أئمة الحديث: على وسفيان وأحمد، بل المدار عندهم على أمانة الرجل وحفظه وشهرته ومعرفته بمن روى عنه وغير ذلك، وكل ذلك هنا قد انتفى عن الجارودى، فإنه بصرى سمع من ابن عيينة شيئاً كثيراً، فحديث من لازم ابن عيينة من أهل بلده، مع ماعنده من الحفظ والإتقان يقدم على رواية من ليس من أهل بلده، ولم يرو عنه إلا اليسير، وشرط قبول الزيادة أن لا يتطرق السهو لمن يرو يها.

وقد قال الشافعى فى حديث رواه مالك: خالفه ستة أو سبعة اتفقوا على ذا، ولم يزيدوا تلك الكلمة، والعدد الكثير أولى بالحفظ من واحد. وإذا جاز أن يقال هذا فى حق مالك، فكيف بمن هو دونه فى الحفظ والإتقان بدرجات كثيرة؟! فحديث ابن عباس فيه هذه العلة.

وقد ذكر مسلم فى مقدمة صحيحة ضابط المنكر فقال: وعلامة المنكر فى حديث المحدث: أن يعمد إلى مثل الزهرى فى كثرة حديثه والرواة عنه، فيأتى عنه بما ليس عند أحد منهم.

وقد روينا فى المجالسة لأبى بكر أحمد بن مروان الدينورى قصة فيها أن ابن عيينة حكم بصحة هذا الحديث، ولكن لم يبين إسناده، وهى من رواية المهدى عن ابن عيينة، فلعله أشار إلى هذه الرواية المرسلة، وحكم للمتن بالصحة لثقة رجاله، ولمجيء الحديث من وجه آخر، كما هو مشهور بين المحدثين من الحكم بصحة ماهذا سبيله.

حديث ابن عمر وابن عمرو :

وأما حديث عبد الله بن عُمر وعبدالله بن عمرو بن العاصى، فذكرهما صاحبنا تقى الدين القيسى المالكى فى أخبار مكة له فى الكتاب الكبير، وأشار إليهما فى مختصره، وإسناد كل منهما واه فلا عبرة بهما.

حديث معاوية :

وأما حديث معاوية فأخرجه الفاكهى من رواية ابن إسحاق، حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال : لما حج معاوية حججنا معه، فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين، ثم مر بزمزم وهو خارج إلى الصفا، فقال: انزع لى منها دلوا ياغلام. قال : فنزع له منه دلواً، فأتى به فشرب، وصب على رأسه ووجهه، وهو يقول : زمزم شفاء، وهى لما شرب له.

هذا إسناد حسن مع كونه موقوفاً، وهو أحسن من كل إسناد وقفت عليه لهذا الحديث، ولم يذكره صاحبنا مع شدة حاجته إليه.

وإذا تقرر ذلك : فمرتبة هذا الحديث عند الحفاظ باجتماع هذه الطرق يصلح للاحتجاج به، على ماعرف من قواعد أئمة الحديث.

تحرير النقل عمن نقل

عنه السائل أنه صحح الحديث

– وأما المنقول عن الشيخ كمال الدين الدميرى فلم يضبط الناقل عنه ما نقله عنه، فإنه ذكر ابن الجوزى، وقد ذكر صاحبنا تقى الدين فى كتابه المذكور أن ابن الجوزى ضعفه، وأما أنا فلم أقف على ذلك، فقد راجعت كتاب ابن الجوزى فى «الموضوعات» وفى «العلل» فما رأيت هذا الحديث فيهما، وله كتاب سماه: «تحريك القلب الساكن إلى أشرف الأماكن» ماهو عندى الآن، فما أدرى هل ذكره فيه أم لا؟ ثم راجعته فوجدته ذكره بغير إسناد، وذكر الصحابى ولم يصفه بصحة ولا غيره.

وذكر فيهم الدمياطى، والكلام عنه فى تصحيح حديث جابر قد استبهم.

وذكر فيهم ابن دقيق العيد، وكلامه إنما وقع فى حديث ابن عباس، وله كلام عليه تبع فيه أبا الحسن ابن القطان القاسى، ومال إلي ترجيح الحديث المذكور.

وذكر قبلهم السبكى ولم أقف على كلامه فى تصحيحه، بل ذكر فى شرح المنهاج حديث جابر وقال: إن ابن المؤمل تفرد به، وإنه يختلف فى توثيقه.

وقد صححه غير من ذكر:

– فروينا فى كتابه المجالسة لأبى بكر الدينورى، ثنا محمد بن عبد الرحمن، ثنا الحميدى، قال : كنا عند سفيان بن عيينة فحدثنا بحديث: «ماء زمزم لما شرب له»، فقام رجل من المجلس، ثم عاد فقال : يا أبا محمد، أليس الحديث الذى حدثنا به فى زمزم صحيحاً؟ قال : نعم. قال الرجل : فإنى شربت الآن دلوا من زمزم على أنك تحدثنى بمائة حديث. فقال له سفيان: اقعد. فقعد، فحدثه بمائة حديث.

ذكر الدينورى هذه الحكاية فى الجزء الرابع من المجالسة.

واشتهر عن الشافعى الإمام أنه شرب ماء زمزم للرمى، فكان يصيب من كل عشرة تسعة.

وشربه الحاكم أبو عبد الله لحسن التصنيف ولغير ذلك، فصار أحسن أهل عصره تصنيفاً.

ولا يحصى كم شربه من الأئمة لأمور نالوها، وقد ذكر لنا الحافظ زين الدين العراقى أنه شربه لشيء فحصل له.

وأنا شربته مرة وسألت الله وأنا حينئذ فى بداية طلب الحديث - أن يرزقنى حالة الذهبى فى حفظ الحديث، ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين سنة، وأنا أجد من نفسى المزيد على تلك المرتبة، فسألته رتبة أعلى منها، فأرجو الله أن أنال ذلك.

وذكر الحكيم محمد بن على الترمذى فى نوادر الأصول عن والده أنه أخبره : أنه كان يطوف فى الليل، فاشتدت عليه الإراقة، وخشى أن يخرج من المسجد إلى مكان يقضى حاجته، فتتلوث أقدامه بأقذار الناس، وكان ذلك فى الموسم، فتوجه إلى زمزم فشرب منها لذلك، فرجع إلى الطواف. قال : فلم أحس بالبول حتى أصبحت.

ولما ذكر الشيخ زين الدين العراقى فى النكت على علوم الحديث لابن الصلاح: أن المختار الذى عليه عمل أهل الحديث جواز الحكم بالصحة للحديث، وإن لم يوجد للمتقدمين فيه تصحيحاً- استدل على ذلك بأمور منها: استمرار عمل المحدثين على ذلك، إلى أن قال : ثم صححت الطبقة التى تلى هذه، فصحح الحافظ شرف الدين الدمياطى حديث جابر مرفوعا: «ماء زمزم لما شرب له» فى جزء جمعه فى ذلك، أورده من رواية عبد الرحمن بن أبى الموال، عن محمد بن

المنكدر، عن جابر رضى الله عنه، ومن هذه الطريق رواه البيهقى فى شعب الإيمان، وإنما المعروف رواية عبد الله بن المؤمل، عن ابن المنكدر، كما رواه ابن ماجه، وضعفه النووى وغيره من هذا الوجه. قال شيخنا : وطريق ابن عباس أصح من طريق جابر. انتهى كلام شيخنا.

وقوله : إن ابن ماجه رواه من طريق ابن المؤمل عن ابن المنكدر- وهم، وإنما رواه ابن ماجه كما تقدم من طريق ابن المؤمل، عن أبى الزبير، عن جابر، ولايعرف أن أحداً من أصحاب ابن المؤمل قال فيه عنه عن ابن المنكدر.

وقوله : إن الدمياطى صحح الحديث المذكور- فيه نظر، فإن الدمياطى أورده من طريق سويد بن سعيد، عن عبد الله بن المبارك، عن عبد الرحمن بن أبى الموال، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر. فذكره ، قال الدمياطى: هذا الإسناد على رسم الصحيح، فقد احتج البخارى بعبد الله بن أبى الموال، واحتج مسلم بسويد بن سعيد، واحتجا جميعاً ببقية رواته.

قاعدة مهمة :

قلت : ولا يلزم من كون الحديث على رسم صاحبى الصحيح لكونهما أخرجا لرجاله أن يكون الحديث صحيحاً، وقد نبه ابن الصلاح على ذلك فى مقدمة شرح صحيح مسلم، فقال: من حكم لشخص لمجرد رواية مسلم عنه فى الصحيح بأنه من شرط الصحيح عند مسلم- فقد غفل وأخطأ، بل ذلك يتوقف على النظر فى كيفية روايته عنه، وعلى أى وجه أخرج حديثه.

قلت : والحال هنا كما أشار إليه ابن الصلاح، فإن سويد بن سعيد أخرج له مسلم، لكنه لم يحتج به، وإنما أخرج له ما توبع عليه، صرح بذلك مسلم لما عاتبه أبو زرعة على تخريجه عن سويد، وسويد مع ذلك كان متماسك الحال لما اجتمع به مسلم، ثم عمى بعد ذلك، ودسوا عليه من حديثه ما ليس منه

فصار يتلقن، وهذا الإسناد مما انقلب عليه، فإنه حدث به فى حالة صحته على الصواب :

فروينا فى فوائد أبى بكر بن المقرى من طريق سويد بن سعيد المذكور قال: رأيت ابن المبارك دخل زمزم فقال : «اللهم إن ابن المؤمل حدثنى عن أبى الزبير، عن جابر، أن رسول الله ﷺ قال : «ماء زمزم لما شرب له» ، اللهم وإنى أشربه من عطش يوم القيامة.

وكذلك جزم شيخ شيوخنا الذهبى فى تاريخ الإسلام له، وفى سير النبلاء فى ترجمة عبد الله بن المبارك أن الحسن بن عيسى رواه عن ابن المبارك كذلك، وأن رواية سويد عنه، عن ابن أبى الموال- منكرة.

فهذا تحرير هذا الإسناد الذى نسب تصحيحه إلى الحافظ شرف الدين الدمياطى، وقد تقدم القول فى الحكم على الحديث من حديث هو بما فيه كفاية.

وتفسير المراد من حديث جابر حيث وقع فيه: « لما شرب منه» أو «له» يظهر من حديث ابن عباس حيث زاد فيه : «إن شربته لتستشفى به شفاك الله...» إلى آخره، فإن بذلك يظهر أن اللام أو من فى الحديث المذكور بمعنى : «من أجله» وأحسن مافسر الحديث بالحديث.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

الماء فى تذكرة داود

مـــاء (١)

هو أجل العناصر البدنية بعد الهواء على الأصح لبقاء البدن بدونه أكثر من بقائه بدون الهواء، ويختلف باختلاف الأصل والسن والمزاج والزمان، وأجوده الخالص من ماء المطر القناطر وقت صفاء الجو ولم يخالطه مكدر، فالجارى مكشوفا من البعد فى أرض حرة أو حجر إلى الشرق أو الشمال النقى الأحجار المهرى لما طبخ فيه الخفيف الوزن.

وما خالف هذه فرداءته بحسب تحسن الخلاف وقلته ونيل مصر أجمع لهذه الصفات ثم دجلة وجيحون فالمقطر فالمطبوخ فماء العين المستعمل فالبئر، وكل ما حرك أو جرى فجيد والصحيح عدم اختصاصه بدرجة فى البرد والرطوبة وهو مبذرق للأغذية مفيد للتبريد عند قصور الهواء مبلغ الغذاء أقصى الأعماق لأنه غذاء على الصحيح لعدم انعقاده حافظ للرطوبات لا يولد نسيانا ولا غيره لكونه ألوفا لكن الافراط فيه يرخي ويمعد ويرهل كما أن تركه يجفف ويورث السدد التى لا تكاد أن تنقى والجارى منه مغمورا أو فى رصاص أو طال مكثه ردئ معفن وكذا المكبرت والمجاور للرمل والتراب وأصول الأشجار والحشائش يعفن الأخلاط ويهزل ويسدد ويجلب داء الفيل والدوالى والأدرة وعسر الولادة.

وما مكث غب الأمطار إلى أن صفقته الرياح جيد إن طابت أرضه وصفا خاليا عن كدر وينفع المحرورين وذوى الكبد ومن لا يطلب التفتيح كذى استسقاء وفتق ويجلب السعال والتشنج وضعف العصب والإقصار مطلقا والكبريتى يطلق أولا ثم يعقل (بسهل ثم يمسك) ويعقب الحكة والهرش والجرب شربا ويمنع منهما غسلا كمالح وزاجى وماء الشب يقبض ويكثف ويمنع تولد القمل غسلا

وشرب قليله يحبس ألقئ وكثيره ضار يخشن القصبة وربما أسجح وماء الحديد سواء أخذ من معدنه أو طفىء فيه يقوى الأعضاء ويحبس الإسهال والدم ويمنع الخفقان والزحير وضعف الكلى وماء الذهب والفضة اعظم فيما ذكر خصوصا بالطفى وماء النحاس ضار جدا وأخبث منه ماء الرصاصين وقيل ماء القصدير لا بأس به.

واعلم إن التقطير والطبخ يعيدان الردى جيدا لفصلهما الكثيف عنه وللماء الصحيح لذة وفضل فى تدبير إذا استعمل بشروطه وهى أن لا يؤخذ قبل الهضم فإنه مفسد للأغذية مبرد للمعدة مصعد للأبخرة الفجة إلى الدماغ وأن لا يستعمل الفاسد منه بلا مصلح إن لم يتيسر ماذكر كطرح قطع التفاح وطاقات النعنع وأكل البصل قبله وبعده ومزجه بالخل وأن يكون بداعية صادقة.

فما شرب قيل خمس عشرة درجة تمضى من الاكل فى صفراوى وضعفها لدموى وخمسة وأربعين لسعداوى وستين لبلغمى كاذب لا اعتداد به شديد النكاية ولا بعد فاكهة فإنه يبيض الدم بمزج مائيتها فيفسد ويستحيل مادى لنحو الأواكل ولا بعد حمام وجماع فيورث رعشة والخدر ويبس الأعضاء والتشنج وبطلان الشاهية ولا بعد قىء فيوقع فى السل والدم وضعف المعدة ولا بعد نوم إلا لمن نام ولم يأخذ كفايته منه فليشرب بعد تبريد أطرافه بالكشف والمصابرة ولم يزل وإلا فلا.

ولا قائما فيضعف المعدة والعصب ولا متكئا كذلك فمن لم يجد من هؤلاء صبرا إلى الأجل المرخص أخذ القليل ممزوجا بالخل باردا شيئا فشيئا لأن الحار يفسد ولا يروى بل يطلق أولا ثم يعقل ويهزل ويغير الألوان ويفتح فوهات العروق وقد يوقع فى الطحال.

والثلج والبرد أقل رطوبة من باقى المياه وينفعان من باقى الحميات وشدة العطش، وما خزن منهما ردئ يضعف العصب والولادة ويوقع فى السل ويعطش لجمعه البخار الغليظ ومن ثم يحدث بعض الإعياء ونحوهما الجليد بل أشد فى توليد السعال وأمراض الصدر وتصحيح كل ماء وتعديله الطبخ أو التقطير.

وبعضهم يرى تقطيره على الطين والسويق أو ترويقه بخبز السميد واللوز وحجر النار والشب وكلما كان الماء أشد قبولا للحر والبرد وانفعالا عنهما كان أجود ومن أمر بعدم الاكثار منه فمصيب لأن ذلك يوقع فى الترهل والطحال والاستسقاء.

ولكن العطش المفرط يضعف الدماغ والبصر والحواس والقوة ومن قلل شرب الماء وصابر العطش يوشك أن لايعمل فيه دواء مسهل ومزجه واجب إن استعمل قبل حله، وأن يأخذه العطشان قبل الأكل وفى خلاله جائز بشرط أن لايكون بحيث يطفو فوقه للأكل ولا يجوز على الريق إلا صيفا أو زمن الطاعون ولا بأس به قبل الوقت لمن تناول يابسا حساء طبعا ليساعد القوة فإن عليه الإعانة ببذرقة الغذاء وإيصاله إلى الأعماق كما عرفت والتبريد عنه نقص الأهوية لا أن فيه غذائية كما ظن لعدم انعقاده.

وأما حكم الاستحمام به فقد مر وكثيرا ما تطلق المياه على الأشربة مثل قولهم لشراب الأصول وماء الأصول فأعرفه.

حرف الميـــم

ماء : مادة الحياة، وسيد الشراب، وأحد أركان العالم، بل ركنه الأصلي، فإن السماوات خُلقت من بخاره، والأرض من زبده، وقد جعل الله منه كل شيء حي.

وقد اختلف فيه : هل يغذو، أو ينفذ الغذاء فقط؟ على قولين، وقد تقدما، وذكرنا القول الراجح ودليله.

وهو بارد رطب، يقمع الحرارة، ويحفظ على البدن رطوباته، ويرد عليه بدل ما تحلل منه، ويرقق الغذاء، وينفذه في العروق.

وتعتبر جودة الماء من عشرة طرق :

أحدها : من لونه بأن يكون صافياً.

الثاني: من رائحته بأن لا تكون له رائحة البتة.

الثالث : من طعمه بأن يكون عذب الطعم حلوه، كماء النيل والفرا .

الرابع : من وزنه بأن يكون خفيفا رقيق القوام.

الخامس : من مجراه. بأن يكون طيب المجرى والمسلك.

السادس : من منبعه بأن يكون بعيد المنبع.

السابع: من بروزه للشمس والريح، بأن لا يكون مختفيا تحت الأرض، فلا تتمكن الشمس والريح من قُصارته.

الثامن : من حركته بأن يكون سريع الجرى والحركة.

التاسع : من كثرته بأن يكون له كثرة يدفع الفضلات المخالطة له.

العاشر : من مصبه بأن يكون أخذاً من الشمال إلى الجنوب، أو من المغرب إلى المشرق.

وإذا اعتبرت هذه الأوصاف، لم تجدها بكمالها إلا فى الأنهار الأربعة: النيل، والفرات، وسيحون، وجيحون.

وفى الصحيحين ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «سيحان ، وجيحان، والنيل، والفرات، كل من أنهار الجنة».

وتعتبر خفة الماء من ثلاثة أوجه، أحدها: سرعة قبوله للحر والبرد، قال يقطر: الماء الذى يسخن سريعاً، ويبرد سريعاً أخف المياه. الثانى : بالميزان، الثالث : أن تُبل قطنتان متساويتان الوزن بماءين مختلفين، ثم يجففا بالغاً، ثم توزنا ، فأيتهما كانت أخف، فماؤها كذلك.

والماء وإن كان فى الأصل بارداً رطباً، فإن قوته تنتقل وتتغير لأسباب عارضة توجب انتقالها، فإن الماء المكشوف للشمال المستور عن الجهات الآخر يكون بارداً، وفيه يبس مكتسب من ريح الشمال، وكذلك الحكم على سائر الجهات الأخر.

والماء الذى ينبع من المعادن يكون على طبيعة ذلك المعدن، ويؤثر فى البدن تأثيره، والماء العذب نافع للمرضى والأصحاء، والبارد منه أنفع وألذ، ولا ينبغى شربه على الريق، ولا عقيب الجماع، ولا الانتباه من النوم، ولا عقيب الحمام، ولا عقيب أكل الفاكهة، وقد تقدم. وأما على الطعام، فلا بأس به إذاْ اضطر إليه، بل يتعين ولا يكثر منه، بل يتمصصه مصا، فإنه لا يضره البتة، بل يقوى المعدة، وينهض الشهوة، ويزيل العطش.

والماء الفاتر ينفخ ويفعل ضد ما ذكرناه، وبائته أجود من طريه وقد تقدم. والبارد ينفع من داخل أكثر من نفعه من خارج، والحار بالعكس، وينفع البارد من عفونة الدم، وصعود الأبخرة إلى الرأس، ويدفع العفونات، ويوافق الأمزجة والأسنان والأزمان والأماكن الحارة، ويضر على كل حالة تحتاج إلى نضج

وتحليل، كالزكام والأورام، والشديد البرودة منه يؤذى الأسنان، والإدمان عليه يحدث انفجار الدم والنزلات، وأوجاع الصدر.

والبارد والحار بإفراط ضاران للعصب ولأكثر الأعضاء، لأن أحدهما محلل، والآخر مُكثف، والماء الحار يسكن لذع الأخلاط الحادة، ويحلل وينضج، ويخرج الفضول، ويرطب ويسخن، ويفسد الهضم شربه، ويطفو بالطعام إلى أعلى المعدة ويرخيها، ولا يسرع فى تسكين العطش، ويذبل البدن، ويؤدى إلي أمراض : رديئة، ويضر فى أكثر الأمراض على أنه صالح للشيوخ، وأصحاب الصرع، والصداع البارد، والرمد، وأنفع ما استعمل من خارج.

ولا يصح فى الماء المسخن بالشمس حديث ولا أثر، ولا كرهه أحد من قدماء الأطباء، ولا عابوه، والشديد السخونة يذيب شحم الكلى.

ماء الثلج والبرد : ثبت فى الصحيحين : عن النبى ﷺ أنه كان يدعو فى الاستفتاح وغيره : «اللهم اغسلنى من خطاياى بماء الثلج والبرد».

الثلج له فى نفسه كيفية حادة دخانية، فماؤه كذلك، وقد تقدم وجه الحكمة فى طلب الغسل من الخطايا بمائه لما يحتاج إليه القلب من التبريد والتصليب والتقوية، ويستفاد من هذا أصل طب الأبدان والقلوب، ومعالجة أدوائها بضدها.

وماء البرد ألطف وألذ من ماء الثلج، وأما ماء الجمد وهو الجليد، فبحسب أصله.

والثلج يكتسب كيفية الجبال والأرض التى يسقط عليها فى الجودة والرداءة، وينبغى تجنب شرب الماء المثلوج عقيب الحمام والجماع، والرياضة والطعام الحار، ولأصحاب السعال، ووجع الصدر، وضعف الكبد، وأصحاب الأمزجة الباردة.

ماء الآبار والقُنى . مياه الآبار قليلة اللطافة، وماء القنى المدفونة تحت

الأرض ثقيل، لأن أحدهما محتقن لا يخلو عن تعفن، والآخر محجوب عن الهواء، وينبغى ألا يشرب على الفور حتى يصمد للهواء، وتأتى عليه ليلة، وأردؤه ما كانت مجازيه من رصاص، أو كانت بئره معطلة، ولاسيما إذا كانت تربتها رديئة، فهذا الماء وبئ وخيم.

ماء زمزم : سيد المياه وأشرفها وأجلها قدراً، وأحبها إلى النفوس وأغلاها ثمناً، وأنفسها عند الناس، وهو هزمة جبريل وسُقيا الله إسماعيل.

وثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ، أنه قال لأبى ذر وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة، ليس له طعام غيره، فقال النبى ﷺ : «إنها طعام طُعم». وزاد غير مسلم بإسناده : وشفاء سقم».

وفى سنن ابن ماجه، من حديث جابر بن عبد الله، عن النبى ﷺ أنه قال: «ماء زمزم لما شرب له». وقد ضعف هذا الحديث طائفة بعبد الله بن المؤمل راويه عن محمد بن المنكدر.

وقد روينا عن عبد الله بن المبارك، أنه لما حج، أتى زمزم، فقال : اللهم إن ابن أبى الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضى الله عنه ، عن نبيك ﷺ أنه قال : «ماء زمزم لما شرب له»، وإنى أشربه لظمأ يوم القيامة، وابن أبى الموالى ثقة، فالحديث إذا حسن، وقد صححه بعضهم، وجعله بعضهم موضوعاً، وكلا القولين فيه مجازفة.

وقد جربت أنا [ابن القيم] وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض، فبرأت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر، أو أكثر، ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرنى أنه ربما بقى عليه أربعين يوماً، وكان له قوة يجامع بها أهله، ويصوم ويطوف مراراً.

ماء النيل : أحد أنهار الجنة، أصله من وراء جبال القمر فى أقصى بلاد الحبشة من أمطار تجتمع هناك، وسيول يمد بعضها بعضاً، فيسوقه الله تعالى إلى الأرض الجرز التى لا نبات لها، فيخرج به زرعاً، تأكل منه الأنعام والأنام، ولما كانت الأرض التى يسوفه إليها إبليزاً[١] صلبة، إن أمطرت مطر العادة، لم ترو، ولم تتهيأ لنبات.

وإن أمطرت فوق العادة ضرت المساكن والساكن، وعطلت المعايش والمصالح، فأمطر البلاد البعيدة، ثم ساق تلك الأمطار إلى هذه الأرض فى نهر عظيم، وجعل سبحانه زيادته فى أوقات معلومة على قدر رى البلاد وكفايتها، فإذا أروى البلاد وعمها، أذن سبحانه يتناقصه وهبوطه لتتم المصلحة بالتمكن من الزرع، واجتمع فى هذا الماء الأمور العشرة التى تقدم ذكرها، وكان من ألطف المياه وأخفها وأعذبها وأحلاها.

ماء البحر : ثبت عن النبى ﷺ أنه قال فى البحر: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته». وقد جعله الله سبحانه ملحا أجاجا مراً زعاقاً لتمام مصالح من هو على وجه الأرض من الآدميين والبهائم، فإنه دائم راكد كثير الحيوان، وهو يموت فيه.

المطر فى المنام

مطر: هو فى المنام إذا لم يحصل منه ضرر فإنه خير ورزق ورحمة، وربما دل المطر على حياة ما يخشى عليه من آدمى أو أرض وربما دل المطر على إنجاز ما يوعد به الإنسان وإن كان المطر مخصوصاً بمكان معلوم دل على حزن أهله أو على همَ يعرض للرائى بسبب فقد من يعز عليه.

وإن كان المطر عاماً مؤذياً مثل أن تمطر السماء دماً أو حجارة فإنه يدل على الذنوب والمعاصى إن كان الرائى مسافراً ربما تعطل عليه سفره، وربما دل

(١) طين مصر الذى يتركه النيل .

المطر المتلف فى المكان المخصوص على البخس فى الكيل والميزان أو التشبيه بقوم لوط، وربما دل المطر النافع على الصلح من الأعداء وربما دل المطر على إغاثة الملهوف، والمطر قافلة الإبل كما أن قافلة الإبل هى المطر، فإن رأى أن السماء أمطرت وقطر ماء الغمام من كل جانب فإن الناس ينالون سعة وسروراً وتتفجر العيون.

ومن رأى مطراً عاماً يحيى له أمر ميت وينال خيراً ونعمة وبركة وإن كان مغموماً أو مديوناً فرج عنه.

ومن رأى المطر قد عاجله فإنه يرزق رزقاً حسناً واسعاً من غير ضيق والمطر فرج وغياث فى تلك السنة، ومن رأى المطر فى داره وخاصة دون الناس نال منفعة وخيراً وكرامة وإن رآه فى جميع البلدة ووقع التأويل على جميع أهل تلك البلدة والمحلة والموضع والقرية.

ومن رأى مطراً يسيح من كل جانب ويقطع الأشجار ويكبها فإنه فتنة وهلاك يقع فى ذلك الموضع من قبل السلطان وقد يكون المطر فى دار خاصة أمراضاً وأوجاعاً وبلايا وجدريا تقع فيها،

وإذا أمطرت الأرض دماً فهو عذاب وكذلك مطر الحجارة وإن كان المطر دماً غالبا أو تراباً فهو ظلم من السلطان، والفلاح إذا رأى المطر فهو بشارة وخصب يناله، وقيل : إذا كان المطر تراباً بلا غبار فهو خصب وإن كان المطر عسلاً أو ما يستحب نوعه من الثمار فهو دليل خير لجميع الناس.

وكذلك إذا كان سمناً أو زيتاً وما أشبه ذلك، والمطر يدل على رحمة الله ودينه وفرجه وعونه وعلى القرآن والعلم والحكمة لأن الماء حياة الخلق من صلاح الأرض ومع فقده هلاك الناس والأنعام وفساد الأمر فى البر والبحر فكيف إذا كان ماؤه لبناً أو سمنا أو عسلا؟

وربما دل علىٰ الحوائج النازلة من السماء كالجراد والبرد هو الريح سيما إن كان فيه نار وكان ماؤه حار، وربما دل على الفتن والدماء التى تسفك سيما إن كان ماؤه الدم، وربما دل على العلل والأسقام إذا كان فى غير وقته فى حين ضرره.

ومن رأى نفسه فى المطر تحت سقف أو جدار فإما ضرر يدخل عليه بالكلام والأذى وإما أن يضرب على قدر ما أصابه من المطر وإن كان فى أوانه فذلك تعطيل عن سفره أو عن عمله أو من أجل مريضه أو بسبب فقره أو يحبس فى السجن على قدره، وإن اغتسل فى المطر من جنابة أو تطهر به للصلاة أو غسل بمائه وجهه أو غسل به نجاسة كانت فى جسمه أو ثوبه فإن كان كافراً أسلم وإن كان بدعياً أو مذنباً تاب وإن كان فقيراً أغناه الله، وإن كانت له حاجة عند السلطان أو غيره قضيت له.

وإن رأى السماء أمطرت سيوفا فإن الناس يبتلون بجدال وخصومة فإن أمطرت بطيخاً فإنهم يمرضون، ومن رأى أنه يشرب من ماء المطر فإن كان صافياً أصاب خيراً، وإن كان كدراً أصاب مرضاً بقدر ما رأى أنه شرب من الماء.

الماء فى المنام

ماء : هو فى المنام حياة طيبة فمن رآه فهو سعادة ومال مجموع وغنيمة وزيادة خير وهو تزويج لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان].

ومن رأى أن الماء صاف غزير رخص السعر وبسط العدل ومضغ الماء شدة الكد فى المعيشة والشرب منه سلامة من العدو وسنة مخصبة لشاربه، وإن شرب فى النوم من الماء أكثر مما كان يشرب فى اليقظة دل على طول عمره، ومن شرب الماء من قدح ولم يشبعه فإن امرأته ناشزة عليه وإن بسط يده فى الماء فإنه يقلب مالاً ويخلط على نفسه.

وقال ابن سيرين رحمه الله : الماء فى النوم فتنة فى الدين لقوله تعالى :

﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن].

وهو بلاء لقوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة].

ومن رأى أنه يعطى ماء فى قدح كان ذلك دليل ولد . ومن رأى أنه يشرب فى قدح ماء صافيا نال خيراً من ولده وزوجته لأن الزجاج من جوهر النساء

والماء جنين، ومن رأى أنه يشرب ماء سخناً أصابه غم شديد، ومن رأى أنه ألقى فى ماء صاف سر من مفاجأة،

ومن رأى أنه فى ماء فهو فتنة وبلاء وغم، ومن رأى أن له خابية ماء صاف فهو مال موروث، ومن رأى أنه يستقى الماء فهو يسعى بين الناس بالكذب، والماء الراكد حبس، فمن رأى أنه سقط فى ماء راكد فهو حبس وغم، وقيل : الماء الراكد فى التأويل أضعف من الماءالجارى على كل حال، والماء المنتن عيش نكد ونقص، والماء المر عيشر مر.

والماء الحار الشديد الحرارة إذا استعمل بالنهار عذاب وشدة وعقوبة وبالليل فزع من الجن، والماء المالح كد فى المعيشة، والماء الكدر المنتن مال حرام، والماء الأسود خراب الدور التى هو فيها فإن شربه فإنه يخشى على بصره، والماء الأصفر مرض، وإن رأى أن ماء الملك صار أجاجاً أو غار فى الأرض فإنه الله تعالى قد غير ما أنعمه على ذلك الملك لتركه الشكر ومنعه الخير وكل ماء كدر فهو تعسر وتعب.

ومن رأى أنه يشرب ماء البحر وهو كدر أصابه هم من الملك وإن جرى فى محله أو شربه إنسان فهو مرض له، وإن شربه الناس كلهم فهو لهم مرض وقيل : الماء الكدر سلطان جائر،

ومن رأى أنه اغتسل فى ماء كدر وخرج منه فإن كان فى شدة خرج منها، وإن كان مريضا شفاه الله وإن كان مسجونا نجا بعد أن يكون الماء طاهراً والمالح غم والماء الأسود إذا نزح من البئر فإنها فإنها امرأة يتزوجها ولا خيرفيها.

ومن رأى أنه يمشى فوق الماء فى بحر أو نهر فإن ذلك قوة الإيمان واليقين بالله تعالى إن كان معه كلام بر وما يدل على الحكمة وإلا استيقن أمر

هو منه فى شك والتباس، وقيل : إنه يسافر أسفاراً فى خطر.

وقيل: إن رأى أنه يمشى على الماء فإنه يخاطر مخاطرة وإن خرج منه قضيت حوائجه كلها، ومن رأى أنه وقع فى ماء كثير عميق ونزل فيه ولم يبلغ قعره فإنه يصيب دنيا كثيرة ويتمول منها لأن الدنيا بحر عميق، وقيل : بل يقع فى أمر رجل كبير فإن غلبه النهر فإنه يمرض مرضاً شديدا وإن غرق فيه فإنه يموت فى مرضه.

وقيل : من رأى أنه وقع فى الماء ينال سروراً ونعمة، وإن رأى أنه نظر فى ماء صاف فرأى فيه وجهه فإن رآه حسناً فإنه يحسن إلى أهل بيته وجيرانه وإن أشرف على ماء صاف أشرف على خير كلام ، وإن رأى أنه صب ماء فى جراب فإنه ينفق نفقة على امرأة وإن صبه فى موضع لا ينتفع به ضيع من ماله بقدره، والماء الغالب هم وعذاب وفتنة بقدر قوته،

وإن رأى أن الماء قد زاد فى بلد أو قرية وجاوز الحد حتى دخل البيوت وأشرف أهلها على الغرق فإنه يقع هناك فتنة عظيمة واختلاف ويهلك الأشرار، وإن رأى الماء يجرى على سطحه فإنه يصيبه غم عاجل أو بلاء دائم من قبل السلطان، والماء العذب رزق حلال وطيب قلب وعلم وحياة لمن أشرف على الموت لقوله تعالى :

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء].

وربما دل على الزوجة للأعزب وعلى الزوج للعزباء فإن شربه من آنية حلال كان نكاحاً صحيحاً وإن كان من آنية محرمة كان نكاحاً فاسداً، وربما شرب الماء على مشروب الفقراء وما يتعاطاه أهل الفتوة فيما بينهم ومن رأى أنه ظمآن ورأى أنه يشرب ماء عاش زراه وهدأ روعه وغنى فقره واجتمع على أهله

فإن اغتسل به فى وقت لا ضرر فيه عليه قضى دينه، وإن صار الماء العذب ملحاً ارتد عن دينه أو عاد إلى ضلالته أو تعسرت أموره وإن حمل ماء فى وعاء حملت زوجته وزيادة الماء فى أوان نقصه أو نقصه فى أوان زيادته دليل على الجور والمغرم والغلاء واختلاف الكلمة، وتدل المياه الصافية على سلامة العين الرمداء وانفجار الماء فى مكان هم وغم ، والماء الأخضر مرض طويل مكثه .

وقيل : عيش نكد، ومن شرب ماء أسود ذهب بصره، ومن رأى أنه يمص الماء مصاً فإنه كدر فى معيشته، وإن رأى أنه أريق عليه ماء سخن من حيث لا يشعر فإنه يسخن أو يمرض أو يصيبه هم شديد أو فزع من الجن بقدر حره، وإن رأى أن ثيابه أو كساءه ابتل بالماء فإنه يقيم على سفر أو يحبس عن أمر قد هم به أو لا يتم له أمر.

ومن رأى أنه يحمل ماء فى وعاء فإن كان فقيرا أفاد مالا وإن كان غنيا عزباً تزوج، وإن كان متزوجا حملت امرأته منه، ومن رأى أنه حمل ماء فى صرة أو ثوب أو فيما لا يمكن حمل الماء فيه فإنه غرور من ماله وحاله أو حياته.

ومن رأى أنه أعطى ماء فى قدح زجاج أو كأس وكانت له امرأة حامل فوقع أحدهما من يده وانكسرت فإن المرأة تموت وإن ذهب الماء ولم ينكسر القدح ولا الكأس فإن الولد يموت وتسلم.

ومن رأى أنه يشرب ماء من كوز أو كأس أو نحوهما وكان عزبا فإنه يتزوج، ومن رأى أنه يفرغ ماء فى جرة أو خلية أو نحوهما فإنه ينكح امرأة، والاغتسال بالماء البارد توبة وشفاء من المرض والخروج من الحبس وقضاء الدين والأمن من الخوف، ومن استقى ماء من بئر أصاب مالاً بحيلة ومكر، ومن رأى أنه استقى ماء وسقى به بستاناً أو حرثاً استفاد مالاً من امرأة فإن أثمر البستان أو أسبل الزرع أصاب من تلك المرأة ولداً وسقى البستان أو الزرع مجامعته امرأته.

موج الماء : رؤيته فى المنام شدة وعذاب لقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢) ﴾ [لقمان]

وقوله تعالى :

﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) ﴾ [هود].

حفر زمزم

قال عبد المطلب : إنى لنائم فى الحجر ، إذ أتانى آت .

فقال لى : احفر طيبة. قلت : وما طيبة ؟ ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت ، فجاءنى فقال : احفر برة ، قلت : وما برة ؟ ثم ذهب عنى . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت ، فجاءنى فقال : احفر المضنونة . قلت : وما المضنونة ؟ ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعت لى مضجعى فنمت فيه . فجاءنى فقال : احفر زمزم . قلت : ما زمزم ؟ قال : لا تنزف أبداً ولا تذم . تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرثِ والدم ، عند نقرة الغراب الأعظم عند قرية النمل الأعظم .

فلما بين له شأنها ، ودل على موضعها، وعرف أنه حدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحادث بن عبد المطلب ، وليس له يومئذ ولد غيره فحفر.

فلما بدا لعبد المطلب الطوى الأكبر كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً ، فأشركنا معك فيها، قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، قالوا له : فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها. قال: فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه ، قالوا : كاهنة بنى سعد . قال : نعم .

وكانت بالشام ، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أمية وركب من كل قبيلة من قريش نفر ، وخرجوا والأرض إذ ذاك مفارز حتى إذا كانوا ببعضها نفد ماء عبد المطلب وأصحابه ، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم ، وقالوا : إنا بمفارزة وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فقال عبد المطلب : إنى أدى أن يحفر كل رجل منكم حفررته لنفسه

بما لكم الآنة من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم وادوه حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً .

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : إن إلقاء بأيدينا هكذا الموت لا نضرب فى الأرض ولا نبتغى لأنفسنا لعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، فارتحلوا حتى إذا بعث عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت قفها عين ماءٍ عذب، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه واستقوا حتى ملاؤا أسقيتهم ، ثم دعا قبائل قريش وهم ينظرون إليهم فى جميع الأحوال .

فقال : هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فجاءوا فشربوا واستقوا كلهم ، ثم قالوا : فغد والله قضى لك علينا ، والله ما نخاصمك فى زمزم أبداً ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً ، فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخلوا بينه وبين زمزم .

المراجع

١- البداية والنهاية ـ لابن كثير .

٢- السيرة النبوية ـ لابن هشام .

٣- زاد المعاد ـ لابن القيم .

٤- منير الغرام .

٥- تفسير ابن كثير.

٦- تفسير القرطبى .

٧- الدارقطنى ـ للسيوطى.

٨- تفسير ابن جرير .

٩- مروج الذهبى ـ للمسعودى.

١٠- البخارى .

١١- مسلم .

١٢- تاريخ الإسلام ـ للذهبى .

١٣- الكعبة على مر العصور .

المؤلف فى سطور

بكر محمد إبراهيم .

* مواليد السيدة زينب بالقاهرة .

* واعظ ورئيس أنصار السنة - سلفى العقيدة .

* صدر له أكثر من ٥٥٠ كتاباً .

* عضو اتحاد الكتاب .

*** **أساتذته :**

تتلمذ على يد كثير من العلماء أمثال الشيخ إبراهيم جلهوم ، والشيخ محمد عبد المطلب صلاح خطيب الأزهر الأسبق ، والشيخ إسماعيل صادق العدوى خطيب الأزهر السابق ، والشيخ الشعراوى ، وكثير من علماء الجمعية الشرعية وأخيراً علماء أنصار السنة ، ومنهم الشيخ فتحى عثمان ، والشيخ أحمد فهمى ، والشيخ أحمد غريب ، والشيخ حسن البنا ، والشيخ أحمد سالم، والشيخ صفوت نور الدين ... وغيرهم .

* قام بنشر دعوة الإسلام بمدينة السلام ، ومصر الجديدة ، ودار السلام، والسيدة زينب .... وغيرها من الأحياء .

* يكتب فى مجلة التوحيد التى تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية ، يقوم بإلقاء دروس فى علوم التاريخ الإسلام والتفسير والعقيدة والفقه فى المساجد المختلفة .

* وله مؤلفات فى الشريعة والفقه والحديث والتفسير والتاريخ والسياسة والأدب واللغة .... وغيرها .

* بدأ فى الخطابة فى مساجد القوات المسلحة منذ ثلاثين عاماً.

* له تلاميذ كثيرون أخذوا عنه العلم .
* والده ـ رحمه الله ـ من مواليد محافظة الغربية ، وكان يعمل بالتجارة.
* يعمل مدير إدارى باحدى الوزارات .
* مقيم حاليا بمدينة السلام .

اصداراته لمركز الراية للنشر والاعلام

١- موسوعة التاريخ الإسلامى ـ صدر منها حتى الآن [الدولة الأموية ـ الدولة العباسية ـ الدولة العثمانية ، وجارى استكمالها إن شاء الله].
٢- قصص القرآن ـ موسوعة .
٣- وصايا قيمة من الكتاب والسنة .
٤- بكاء العمرين ـ عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ـ مجلد .
٥- ١٣٥ قصة من قصص الصالحين .
٦- التداوى بالأعشاب.
٧- عمر بن الخطاب ـ مجلد .
٨- نوادر الظرفاء .
٩- برمودا والشيطان ـ مجلد .
١٠- قصص بنى إسرائيل فى القرآن والتوراة والتلمود .
١١- تاريخ العرب عبر القرون .
١٢- أباطرة التاريخ ـ ج١ ، ج٢ .
١٤- من قصص القرآن للأطفال .

تحت الطبع :

١- موسوعة الأسرة ـ مجلد .
٢- تاريخ الفراعنة ـ ج١ ، ج٢.
٣- عجائب وغرائب الفراعنة .

٤- الأسرار الخفية فى حياة الفراعنة .
٥- سقوط ١٥ إمبراطورية عبر التاريخ .
٦- من روائع التراث الجنسى عند العرب .
٧- السحر العجيب فى اللبن الحليب .
٨- من عجائب ماء زمزم .
٩- من عجائب صلاة الاستخارة .
١٠- مثلث برمودا والأطباق الطائرة .
١١- موسوعة التداوى بالأعشاب .
١٢- السيدة فاطمة الزهراء .
١٣- السيدة خديجة أم المؤمنين .
١٤- أخطر ١٠ قادة فى التاريخ .
١٥- حروب غيرت مجرى التاريخ .
١٦- عجائب صلاة الفجر .
١٧- غرائب وعجائب الشعوب .
١٨- الحضارات القديمة .
١٩- تاريخ الجزيرة العربية - ج١ ، ج٢ ، ج٣ ، ج٤ .
٢٠- عجائب وغرائب الحيوان .
٢١- موسوعة البلدان .
٢٢- أشهر الأحكام القضائية .
٢٣- أشهر المأكولات والحلويات .
٢٤- موسوعة الأسماء ذكور وإناث .

الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس